تجديد علم العقيدة الإسلامية
عند الأستاذ محمد المبارك (1912/ 1981) رحمه الله

طالبة الدكتوراه: فتيحة دوار
(جامعة الجزائر1\كلية العلوم الإسلامية)

الملخص

أعرض في هذا المقال رؤية الأستاذ محمد المبارك رحمه الله لدرس العقيدة الإسلامية من جهتين، الأولى تقويمه لموروث درس العقيدة الإسلامية منهجا وموضوعا وشكلا، وهي تشكل مبرّرات قوية للدعوة إلى تجديد علم العقيدة الإسلامية، والثانية رؤيته التجديدية لعلم العقيدة الإسلامية المعاصر، بالتطرق أولا إلى بيان المراد من العقيدة وعلم العقيدة الإسلامية تعريفا وشرحا، والوقوف عند مفهوم التجديد و مبرراته و دواعيه من وجهة نظر الأستاذ ببيان ما علق بعلم العقيدة الإسلامية من شوائب أنقصت من قيمته سواء موضوعية أو منهجية أو شكلية، ثمّ ختاما أعرض مقترحاته للنهوض بعلم العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، و يعتبر هذا البحث تمهيدا نظريا، بقصد الخلوص في النهاية إلى معرفة نظرة الأستاذ بدقة لعلم العقيدة الإسلامية السابق والمعاصر.

Abstract

I expose in this article the view of the professor Mohamed Elmoubarak –may Allah bless him- about the study of the Islamic faith from two sides.

the first one his correction of the inherited Islamic faith in terms of process theme and form, which represent

strong reasons to the call of the renewal of the Islamic faith science.

The second side is about a renewal view of the contemporary Islamic faith science, by explaining the aim of faith and the Islamic faith science definition and explanation, and focus on the meaning of renewal and its justification and reasons in the point of view of Mohammed Elmoubarak by revealing the impurities that slicked to the Islamic faith science, and subsequently reduced its value in terms of subject matter and methodology or formality. In conclusion I expose his suggestions about how to take off the Islamic faith science in the modern era, and this study represents a preface to find out accurately the professor's look about the anterior and contemporary Islamic faith science.

وبناء على التحديدات السابقة تضمن البحث العناصر الآتية:

أولا: لمحة موجزة عن حياة الأستاذ محمد المبارك العلمية والعملية

ثانيا: العقيدة وعلم العقيدة الإسلامية في فكر الأستاذ محمد المبارك رحمه الله

1 -العقيدة

2 -العقيدة الإسلامية

3 -علم العقيدة الإسلامية

ثالثا: التجديد في علم العقيدة الإسلامية مفهومه ومبرراته

1 -مفهوم التجديد في علم العقيدة الإسلامية

2 - أهمية التجديد

3 - مبرّرات التجديد

رابعا: مقترحات محمد المبارك للنهوض بدرس العقيدة الرّاهن

1 - المقترحات الموضوعية

2 - المقترحات منهجية

أولا – لمحة موجزة عن حياة الأستاذ محمد المبارك العلمية والعملية

ولد محمد بن عبد القادر بن محمد المبارك[1] الجزائري بغوطة دمشق سنة 1912/ 1330ه، في دار محاذية للمدرسة العادلية في حي قريب من الجامع الأموي، وأتيح لهذا المولود الجديد أن يفتح عينيه في بيت مسلم على قدر كبير من الدّين والعلم، أجداده من المتصوّفة وأهل اللّغة والدّين، فجد جدّه لأمه هو الشيخ المهدي السكلاوي [2]، وعمه محمد الطيب الجزائري[3] العالم الصّوفي، وجده لأبيه وأبيه كلهم من علماء اللّغة العربية، أطلّ محمد على الدنيا والعالم الإسلامي على أبواب مرحلة

(1) محمد المبارك الجزائري الجد (1847، 1912م) أصله من دلس من الجزائر، سافر مع أبيه وهو في عمره سنة واحدة في هجرة المغاربة الأولى إلى دمشق هروبا من الاحتلال الفرنسي للجزائر، يعود نسبه إلى الحسن رضي الله عنه، طلب العلوم الشرعية واشتغل بالتصوف مثل أجداده، ونبغ في اللغة والأدب، تعلم على يد الشيخ الطاهر الجزائري، واخوه العالم الصوفي محمد الطيب الجزائري، أنشا مدرسة ابتدائية ، تخرج على يديه الكثير من الأدباء من أهمهم ابنه عبد القادر ، من بين مؤلفاته: المقامات العشر لطلبة العصر – مديح في الأمير عبد القادر. انظر: الحافظ محمد مطيع وأباظة نزار، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: 1301ه الى 1360ه دار الفكر، الطبعة (1) 1406ه – 1986م، (1، 274– 278) / المبارك، محمد، الثوابت والمتغيرات في المجتمع الإسلامي، المركز الثقافي الإسلامي، الجزائر، ص 5، (مخطوط) / جرار، حسني أدهم، محمد المبارك: العالم والمفكر والداعية، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، الطبعة الأولى، 1419ه، 1998 م، ص 13 / الطنطاوي، علي، ذكريات، دار المنارة، السعودية، جدة، الطبعة (2) 1409ه – 1989، (1، 121).

(2) الشيخ المهدي السكلاوي الايراثني زعيم الطريقة الرحمانية في الأربعاء ناث يراثن وما جاورها من أعراش، ومن علماء الزواوة البارزين، الذين جمعوا بين تدريس العلوم الشرعية والتصوف، نظم هجرة إلى بلاد الشام إثر الاحتلال الفرنسي سنة 1847م عقب انهزام الأمير عبد القادر ،، وصار من المدرسين البارزين فيها إلى أن توفي سنة 1861م .

(3) هو محمد الطيب الدلسي المالكي ابن المبارك محمد (1839، 1895م)، ولد في دلس بالجزائر ثم قدم دمشق مع والده وهو شيخ الطريقة الشاذلية الفاسية، انظر: الحافظ محمد مطيع واباظة نزار، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، (1، 122).

جديدة، فالخلافة العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة، والحرب العالمية الأولى تقرع طبول البدء، والشام يتهددها المستعمر الفرنسي والبريطاني، يرافق ذلك زخم من الأفكار كالقومية والشيوعية...[1]، فمحمد المبارك شهد تحولات مفصليّة في تاريخ الأمة الإسلامية.

أكبر منهل نهل منه الأستاذ في هذه الأسرة العريقة هو والده عبد القادر[2] الذي كان له أثر كبير في تكوينه اللغوي والتربوي خاصّة، إضافة إلى المكتبة الزاخرة التي كانت لوالده وأصلها لجدّه، وكانت دار والده مرتادا للعلماء من أرجاء البلاد الشامية والعربية، يقول الابن محمد عن والده "لقد قيض أن أقرأ على والدي رحمه الله وكان أشهر شيوخ اللّغة في بلاد الشام شروح المعلقات ولامية العرب والمقصورة الدريدية ومقامات الحريري وغيرها إلى جانب المذكرات العلمية"[3]، ستظهر نتائج هذا المنهل في مؤلفات الأستاذ عامة ومحاضراته الأدبية ودراساته الفنية للقرآن الكريم.

(1) انظر: محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية 1389ه، 1970م. ص 07.

(2) هو عبد القادر بن محمد المبارك الجزائري الحسني، توفي سنة 1945م ، علاّمة دمشق وأحد عمد فكرها الحديث، وأكثر شهرته في اللغة والأدب، كان أستاذا في اللغة والدين، اختير عضوا في المجمع العربي بدمشق حين تأسيسه، كان من أعضاء اللجنة التي الفت في عهد الملك فيصل الأول لتعريب المصطلحات العسكرية فكانت لفظة الهاتف من وضعه واقتراحه.

انظر: محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 21 / محمد المبارك، الأمة العربية في معركة تحقيق الذات، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1988م ص 4 (المقدمة) / الطنطاوي، ذكريات، (118،1-120) / جرار، محمد المبارك العالم والمفكر والداعية، ص (14- 15).

(3) المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص21 (قصة جيل).

دخل الأستاذ المدارس الحكومية حيث صادف ذلك دخول الاستعمار الفرنسي تحت غطاء الانتداب سنة 1920م إلى سوريا، فانكبّ التلميذ محمد المبارك على الدّرس والتحصيل مظهرا تفوقه في كل المراحل التي قضاها في المدارس الحكومية، وقد عانى مع زملائه من مخططات فرنسا التغريبية حيث قال "شهدنا – وكنا تلاميذ في مقاعد الدرس – كل حملات التشكيك في مثلنا وقيمنا وحضارتنا وديننا ولغتنا"[1]، ولكنّه كان على وعي فيما يتلقى من علوم، مدركا لأهداف ومخطّطات فرنسا التغريبية، فأخذ ما رآه صالحا ونبذ ما دون ذلك بفضل الحصانة التي كان يتلقاها بالموازاة مع ذلك المتمثلة في الأسرة والعالم الكبير بدر الدّين الحسني[2]، الذي يعدّ أهم محطّة علمية وروحية اغترف منها الأستاذ كما صرح بذلك.

بعد حصول الأستاذ على الإجازة من الجامعة السورية، تزامن ذلك مع تنظيم وزارة المعارف لمسابقة المجازين من الجامعة، يواصل الناجحون فيها الدراسة في فرنسا، فدخل الأستاذ المبارك فرع الأدب العربي فكان الناجح الأول على دفعته، فدرس في معهد الدّراسات الإسلامية التابع لجامعة السوربون، فاطّلع على الأدب الحديث ونظرياته والمباحث اللغوية الحديثة، وتخصّص في علم الاجتماع[3]، وكان

(1) المصدر نفسه، ص 8 (قصة جيل).

(2) الشيخ محمد بدر الدين الحسني (1851–1935): الملقب بالمحدث الأكبر ويوصف بأنه شيخ الشام ورجل العلم والمعرفة، من أصول مغربية، عُرف باستقامته وكثرة علمه وقوة ذاكرته يُعدّ المرجع في كل من العلوم العربية والإسلامية، انظر: المبارك، محمد، شيخنا العظيم محدث الديار الشامية الأكبر، حضارة الإسلام (مجلة فكرية شهرية)، دمشق، العدد (6)، السنة الرابعة 1964م، ص 14– 22 / المبارك، الفكر الإسلامي الحديث مواجهة في مواجهة الأفكار الغربية، ص 20 / المبارك، الإسلام والفكر العلمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة (1)، 1398ه – 1978م ص 6– 7 –8.

(3) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، دار الفكر، 1400ه — 1980 ص 3 / المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 21–22 / المبارك، الإسلام والتيارات

بالتوازي مع الدّراسة في الجامعة يحضّر المنتديات والمحاضرات العامة ويتردّد على مختلف المعاهد العلمية ويتصل بالمجتمع اتصال باحث ناقد، وعرف بعض المستشرقين عن كثب وعاين مختلف التيارات الفكرية التي كانت تعجُّ بها الساحة الفكرية الفرنسية، فتعرف الأستاذ خلال هذه الفترة على شخصيات بارزة من علماء ومثقفين ومستشرقين، كما كان للأستاذ اتصال وثيق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مرحلة تعلمه في فرنسا التي تذكّره بأصوله الجزائرية.

تُبين هذه الأمور أن الأستاذ لم يكن يحصُر نفسه في فكر واحد بل كان يلج إلى كل فكر تيسّر الوصول إليه محاولا فهمه ثمّ الاستفادة منه واستثماره ولا يعني ذلك أن يتبناه ، يؤكد هذه الملاحظة إنتاجه الفكري في مجال التيارات الغربية الحديثة.

يُعدُّ الأستاذ المبارك رجل دعوة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، صبغت الرّسالة الإسلامية كل حياته، ويمكن تقسيم حياته العملية إلى قسمين رئيسيين، الأول: طبعته السياسة حيث عمل وزيرا ونائبا لمدينة دمشق عدة مرات والثاني طبعه العمل الفكري والجامعي، قال في ذلك "ثمّ انتقلت ...إلي الميدان السياسي سلخت فيه إحدى عشرة سنة (1947 – 1958) ...ثمّ رأيت العزوف الكامل عن السياسة والانصراف الكامل للعمل الفكري والجامعي"(1)، وإنتاجه الفكري كان موزعا بين التدريس والتأليف ونشر مقالات في المجلات والجرائد وإلقاء المحاضرات، ومن بين أهم مؤلفاته العقدية: نحو إنسانية سعيدة، ونظام الإسلام العقيدة والعبادة، والعقيدة

=الفكرية العالمية، دار القلم والدار الشامية، الطبعة (1)، 1419ه– 1998 ص 22 / الصديق، أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر الجزائر– 2000م. ج(3) ، ص 904 / الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة ج(6)، ص100. / جرار، محمد المبارك العالم والمفكر والداعية، ص 22 – 24.

(1) انظر: المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، ص 23 .

في القران الكريم، كما له سلسلة نظام الإسلام في الحكم والاقتصاد، وإنتاج فكري قيّم في مجال الدراسات الفنية في القران الكريم.

توفي الأستاذ محمد المبارك رحمه الله بعد أن صلى فجر يوم الخميس الثاني من ربيع الأول 1402ه الموافق 5 ديسمبر، 1981م في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ودُفن في مقبرة البقيع حيث كان يتمنى[1]، وكان قبيل وفاته بيومين يُحاضر في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

ثانيا– العقيدة وعلم العقيدة الإسلامية في فكر الأستاذ محمد المبارك

1 –العقيدة:

العقيدة لغة مصدرها العَقدُ وهو الشدُّ والربط بقوة وإحكام، ولذلك تسمى العهود والمواثيق عقدا كالنكاح وإجراء البيع وتفيد أيضا معنى الضمان والعهد[2].

والعقيدة في معناها العام لدى الأستاذ مرادفة للفلسفة وتفيد معنى النظرة العامة للوجود، كما أنها الخلفية الفكرية، وهي في آخر خلاصة لها تصور الوجود الذي "يُحدّد موقعه (الإنسان) في الوجود وعلاقته بالكون ، وبما وراء الكون وتنطلق من اعتقاد يؤمن به الإنسان في هذا المجال"[3].

---

(1) انظر: المبارك، الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، ص 23/ ذكريات ، الطنطاوي، (1، 121).

(2) انظر: الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة(6)، 1419ه 1998م، ص 300.

(3) محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، دار الفكر، الطبعة (4)، 1395ه، 1975م، بيروت، لبنان، ص 35– 36 / المبارك، محمد، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989– 1409ه، رسائل إسلامية المعرفة، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 14 / محمد المبارك ، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 164.

2 -العقيدة الإسلامية

منزلة العقيدة الإسلامية كبيرة في فكر الأستاذ، يظهرها في كل ما يكتب تلميحا أو تصريحا، اهتم بها تعريفا وتأسيسا وولج جلَّ المواضيع التي ترتبط بها، وقد ذكر لها عدة تعريفات وبعدة اعتبارات، منها قوله "هي مجموعة الحقائق التي دعا الإسلام إلى التصديق بها"[1] وهذا كلام مجمل فصّله بقوله "هي الإيمان بالله والحياة الآخرة ثمّ الاعتقاد بالنبوّة"[2]، وذكر أن هذه الحقائق" لا مجال فيها للتغيير والتبديل لأنها حقائق"[3]، فجعل أولويات العقيدة في أمور ثلاث وبقية مسائل العقيدة مندرجة ضمنها، وقد عرضها في أسلوب خاص ذا سمة تذكيرية للمتلقي.

وقد عرفها أيضا بالنظر إلى مقاصدها العامّة مركزا على مهمّة الإنسان الرسالية، قال "هي موقظة للضمير وشاحذة للحساسية الإنسانية، تجعل من الإنسان إنسانا يخشى الله في كل عمل يؤديه أو حركة يقوم بها وتشعر الإنسان بمسؤوليته الأخيرة أمام الله المطَّلع عليها فيما يُسرُّ ويُعلن، زد على ذلك التمثُّل الحسّي للعقيدة الإسلامية في قلب الإنسان وعقله وتحرره من أهوائه وشهواته وعصبياته"[4]، فربط الإنسان بخالقه وتحقيق الولاء التام لله تعالى ثمّ ترقية الجانب الروحي فيه وتجسيد الاستخلاف، هي أهم المقاصد التي بيّنها الأستاذ من خلال هذا التعريف.

---

(1) محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 6.

(2) المبارك، نحو إنسانية سعيدة أو حلقات من نظام الإسلام، دار الفكر، بدون طبعة وسنة نشر، ص 177، 178 / وقريبا منه في مؤلفه: الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 112، 113.

(3) المبارك، الثوابت والمتغيرات في المجتمع الإسلامي، ص 21.

(4) محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة ، ص 118

ويبين الأستاذ منتقدا أن الأوائل من العلماء لم يوظفوا لفظ العقيدة، وإنما كانوا يستعملون ما يدل عليه كالسُنّة والشريعة والإيمان، كما في عناوين مصنّفاتهم[1] ويفضل استخدام لفظ الإيمان على لفظ العقيدة لما يبثه لفظ الإيمان من تزكية و التي يخلو لفظ العقيدة منها.

3-علم العقيدة الإسلامية

تراكمت عبر الأزمنة شروح كثيرة للعقيدة الإسلامية وصلت حدَّ الموسوعات وهي خلاصات كثيفة وجُمل موجزة أُطلق عليها عنوان العقائد أو التوحيد مع أنها تحوي العقيدة الإسلامية وغيرها، وهي تمثل في مجموعها إنتاجا في علم العقيدة الإسلامية يعدُّ مزيجا من "مبادئ العقيدة وأسلوب عرضها أو بينها وبين وسائل الدفاع عنها"[2]، فمؤلفات العقيدة الإسلامية تضم عناصر أساسية خالدة هي مبادئ العقيدة الإسلامية إضافة إلى جهود عارضة زمنية لعلماء العقيدة وهي ما يُعرف بعلم العقيدة الإسلامية.

فعلم العقيدة "هو العلم الذي أُنشئ لبيان هذه العقيدة وإقامة البراهين اليقينية على صدقها وصحتها"[3] ويُطلق على هذا العلم تسميات متعدّدة ، منها علم التوحيد لأن مبحث الوحدانية أشهر ما فيه و علم أصول الدّين في مقابلة أصول الفقه، والفقه

(1) لعلّ أول من استعمل لفظ العقيدة بدل الإيمان هو الإمام أبو عثمان الصابوني في عنوان كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)، انظر ترجمته في بداية كتابه عبد الرحمن الصابوني، أبوا عثمان إسماعيل، عقيدة السلف وأصحاب الحديث: تحقيق: ناصر عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، الطبعة الثانية ، 1419 ه — 1998م، المملكة العربية السعودية، ص 13- 41.

(2) المبارك، العقيدة في القران الكريم، أرسلت لي نسخة من طرف ابنته جمانة عبر الإمايل وهي غير موثقة.

(3) الخن، مصطفى سعيد، مبادئ العقيدة الإسلامية، جامعة دمشق، مطبعة جامعة، دمشق، سوريا، ص 21.

الأكبر لتأليف الإمام أبي حنيفة كتابا سماه "الفقه الأكبر" وعلم الكلام [1]، فظهرت أساليب متنوعة وبرزت مواضيع لم تكن من قبل، هذه المتون العقديّة التي وصلتنا "مثَّلت صراع العقيدة الإسلامية مع العقائد الأخرى"[2] فمهما تعدّدت الأسماء فالمسمَّى واحد.

وقد عرَّف الأستاذ علم العقيدة الإسلامية بقوله "للدفاع عن العقيدة وعرضها بالأدلة"[3]، وهو تعريف ركَّز فيه على وظيفة هذا العلم، وبيَّن أن الأسلوب الأمثل للتعامل مع علم العقيدة الإسلامية إنَّما يكون بالاستثمار الذي "يكون بأخذ الأسس الصحيحة والعناصر الخالدة"[4]، لا السير في التأليف وفق النسق القديم الذي كان استجابة لظروف تلك الأزمنة، ثمّ دعا إلى إخضاع المؤلفات السابقة للنقد للتمييز بين المعطيات الزمنية العارضة من اللازمة أي علم العقيدة من العقيدة وبهذا تتوضح "خصائص الطريقة المثلى في عرض العقيدة وتحديد منهجها والتآليف فيها"[5]، فالأستاذ يدعوا إلى إصلاح علم العقيدة الإسلامية والتمييز بينها وبين العقيدة الربانية الأزلية الخالدة.

---

(1) انظر: المسير، محمد سيد احمد، التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1419- 1998، الطبعة (1)، ص 25 الى 28.

(2) المبارك، العقيدة في القران الكريم، (المقدمة).

(3) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 17.

(4) المبارك، كيف تؤدي جامعة القرويين رسالتها ، حضارة الإسلام ، العدد الثامن، السنة الثانية 1962 م، ص 19.

(5) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 166.

ثالثا: التجديد في علم العقيدة الإسلامية مفهومه ومبرراته

1-مفهوم التجديد في علم العقيدة الإسلامية

التجديد في مجال العقيدة الإسلامية هو الذي يعني في هذا المقام، وهو يشمل أساسا المنهج والموضوع، فعلى مستوى المنهج يكون بتكييف وسائل بيان العقيدة وفق أساليب الناس المعاصرة، وأمّا على مستوى الموضوع فيكون بنزع لمواضيع التي علِقت بمباحث العقيدة الأساسية نتيجة العصور السابقة، وهذا لن يكون بالانفصال التامّ عن موروثنا العقدي بل بالاستثمار الأمثل له في علاج المشكلات العقدية الرّاهنة.

وقد تباينت مواقف علماء العقيدة في هذا العصر في شأن التجديد في علم العقيدة الإسلامية بداية من مفهومه إلى المجالات التي يطالها، لا يسع المقام إلى عرضها.

مسلك الأستاذ عموما في عرضه للعقيدة الإسلامية مسلك يتميز بالبساطة لا يحتاج إلى كبير جهد لاكتشاف ذلك بل يكفي فقط الاطّلاع على مؤلَّف واحد في الموضوع، وهذا يُعتبر تجديدا لعلم العقيدة الإسلامية وفق نسج الأستاذ، والملاحظ أننا لا نجد ذكرا أبدا للفظ التجديد في كل مؤلفاته ولكن معناه موجود، ويذكر بدلا من ذلك ألفاظ من مثل "جديدة" و"عرض جديد"، من ذلك قوله "لا تزال الحاجة قائمة إلى تآليف جديدة تشتمل على عرض كامل للتصور الإسلامي للوجود، أو صياغة جديدة للعقيدة الإسلامية من حيث طريقة عرضها وأسلوبها في التعبير"[(1)]، فالتجديد عند الأستاذ يشمل منهج وموضوع العقيدة الإسلامية، وهو العودة أساسا إلى التأسيس للعقيدة الإسلامية من القرآن الكريم ووفق طريقته في الإقناع دون إغفال توظيف معطيات زماننا[(2)]، وقوله من "الضروري في عرض العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر تجنب أمور كانت من لوازم المؤلفات القديمة ثمّ فقدت أهميتها وهي لم تكن دائما عيبا أو نقصا فيها وإنما كانت من مستلزمات البيئة والعصر لمواجهة العقائد

(1) المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 4.

(2) المبارك، انظر: المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ص 15.

المخالفة والآراء المعارضة ولكن النقص في البقاء عندها وتكرار ما فيها والتقصير على بذل الجهد في تقديم عرض جديد للعقيدة ملائم في طريقته وأسلوبه لمقتضيات العصر أي لمواجهة فلسفات ومذاهب مستحدثة وأساليب في العرض و تعابير جديدة"[1] ولنواصل التدقيق في هذا الموضوع ببيان أهميته ومبرّرات التجديد عنده.

2 – أهمية التجديد:

للتجديد أهمية بالغة بوصفه متعلق بالعقيدة الإسلامية، أدرك هذه الأهمية الأستاذ فبينها بقوله التجديد "في عصرنا الحاضر في عقيدته الإيمانية بتصوراتها العامة ومشاعرها النفسية التي ترمي إلى تكوينها عملية دقيقة وخطيرة لما يترتب عليها من النتائج، إذ ثمّة مزالق وعقبات أمام هذه العملية"[2]، ثمّ أجمل هذه العقبات وذكر أنها متمثّلة خصوصا في تأثير المجتمع التقليدي بمفاهيمه المشوهة، وأساليبه القديمة من جهة، ومن جهة أخرى تسلُّل أفكار ومفاهيم غربية مُلحدة خاصة تجانب المفاهيم الإسلامية مما كان سببا في فهم نُظم الإسلام من خلال هذه التأثيرات.

3 – مبرّرات التجديد

ليس التجديد عند الأستاذ تضييعا للطاقات وصرفا لها، بل هو ممّا دعت إليه الحاجة والضرورة الواقعية، والأستاذ لا يعتبر النقائص الآنفة الذّكر فقط مبرّرات لتجديد هذا العلم في عصره، بل أضاف لها أمورا خاصّة بالعقيدة الإسلامية نفسها هذا من جهة أهمها:

أ– مشروعية ووجوب علم العقيدة الإسلامية

لا خلاف بين علماء العقيدة قديما وحديثا على وجوب التبليغ عن الله تعالى في مجال العقيدة، سواء ببيانها أو بنقض الشبهات التي يلقيها المشككون في صحتها، رغم

(1) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 167.

(2) المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص 34، وهو يذكر هنا حتى صياغة التعاليم الأخلاقية والأحكام التشريعية.

اختلافهم في مسألة وسائل ومناهج تبليغ العقيدة الإسلامية، والجميع لم ينكر جنس النظر والاستدلال فيما يتعلق بأصول الدّين.

وعلم العقيدة الإسلامية عند الأستاذ من العلوم الأصيلة في الفكر الإسلامي، وليس مشروعا فحسب بل هو واجب كفائي على الأمة[1] للذبِّ عن العقيدة الإسلامية و بيانها للناس في كل زمان ومكان.

ب-التحديات العقدية المعاصرة

ترِدُ على المسلمين في موضوع العقيدة الإسلامية تحديات غير التي كانت في السابق، سواء كانت من داخل المجتمع الإسلامي أو من خارجه ، فانشغالات الناس اليوم تختلف عن التي كانت من قبل وإن وُجد بينها بعض التشابه، ذلك أن "فلسفات العصور تتغير"[2]، فحلَّت اليوم مشكلات جديدة وظهرت مذاهب وآراء أخرى لم تكن في السابق فلم يعد الحديث عن الجسم والجوهر والعرض[3] ، فهذه قد تبدَّلت

(1) محمد المبارك، الثوابت والمتغيرات في المجتمع الإسلامي، ص 21 ./المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 17.

(2) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 167.

(3) الجسم والجوهر والعرض هي أسام المحدثات، الجوهر هو الشيئ المتحيز أي الذي له حيز، والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجه فيه غيره، والجسم في اللغة هو :المؤلف المركب .يدل على ذلك قولهم: رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، وكل جسم متالف من جوهرين متحيزين والعرض: هو الذي يعرض في الجوهر، ولا يصح بقاؤه وقتين، وهو ما يستدعي وجوده ذاتا تقوم به والذات جسم أو جوهر.

انظر: الباقلاني، ابوا بكر، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد بن زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية ، 1421ه – 2000م ، ص 16 / الغزالي، أبوا حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، تصحيح: مصطفى القباني الدمشقي، المطبعة الأدبية، مصر، الطبعة الأولى، ص 20 –21 .

بعد الاكتشافات العلمية الحديثة، و "فلسفات ومذاهب مستحدثة وأساليب في العرض وتعابير جديدة"[1]، كمشكلة الإلحاد المستفحلة والتشوه الحاصل في مفاهيم الإسلام عن نظم دينهم وجهلهم بها، هذا ما يُلزم على المشتغلين بعلم العقيدة الإسلامية أن يجددوا خطابهم العقدي حسب المستجَد من أسئلة الناس الحالية لتقف موقف التحدّي والغلبة أمام المذاهب العقائدية المستحدثة.

ت-عجز الدرس العقدي السابق عن مواجهة التحديات المعاصرة

المبرّر الرئيسي الثالث الذي كان سببا في دعوة الأستاذ للتجديد في علم العقيدة الإسلامية هو عجز موروث علم العقيدة السابق عن الوقوف في وجه العقائد المستحدثة فـ "لم يعد من الجائز أن نعرض العقيدة وندرسها كما يعرضها التفتازاني في مقاصده، أو النسفي في عقائده، فنبحث مشكلات تاريخية لا وجود لها اليوم، ونناقش فرقا انقرضت، ثمّ نهمل مشكلات قائمة وفرقا ومذاهب موجودة ... لكننا اليوم أمام مشكلات جديدة ومذاهب فكرية وفلسفية"[2]، مما يعني أن علم العقيدة السابق عاجز منهجيا وموضوعيا عن علاج مشكلات الناس الرّاهنة، منهجيا لأنه انطلق من فلسفات ونظريات ومسلَّمات خاصّة بذلك العصر وكثيرا منها تغير بتغير النظريات العلمية التي تغذي الفلسفة، وموضوعيا بتجدُّد المشكلات التي لم تكن موجودة سابقا وظهور غيرها، واندثار المشاكل العقدية التي كان علماء العقيدة يعالجونها[3]، ويصرح

(1) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 167 / وينظر كذلك: المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 5.

(2) انظر: محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 118.

(3) انظر: المبارك ، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 167 / المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 118 / المبارك، العقيدة في القران الكريم، (المقدمة).

الأستاذ بأنه لن يسلك مسلك القدماء في طرائقهم في البحث وعرضهم للعقيدة بل يسلك أسلوب العصر الحديث من حيث التعبير ومناهج البحث و الاستدلال[1].

ث-نقائص درس العقيدة السابق والرّاهن

ذكر الأستاذ مجموعة من النقائص المسجّلة على درس العقيدة الإسلامية السابق والحالي، ذكرها مبثوثة في مجموع مؤلفاته، وكان يعبر عنها بلفظ مأخذ ونقص وعيب وكلها تؤكد أنه لا يدعوا إلى تجاوز التراث العقدي السابق بقدر ما هي دعوة إلى إصلاحه واستثمار أحسنه[2]، وبيّن أن هذه النقائص هي إمّا نقائص في عصره ولم تكن تشكّل قبلا نقائص باعتبارها استجابة لظروف واقعها ، يؤكد هذا اعتذاره لعلماء العقيدة السابقين بقوله "ذلك أن أولئك الأئمة والمؤلفين بذلوا جهودهم لاستخراج العقيدة من القرآن والسنّة، وإفرادها بالتآليف وواجهوا فلسفات عصرهم والمشكلات التي وردت عليهم من أهل الملل الأخرى والنّحل المختلفة"[3]، وإما أنها تعتبر نقائص في السابق ولازالت في الوقت الرّاهن كذلك، يظهر بهذا إلمام الأستاذ بدرس العقيدة السابق والرّاهن والنقائص هي:

1-النقائص الموضوعية

تطرقت مؤلفات العقيدة إلى مواضيع لا فائدة من إضافتها تحت مسمى كتب العقيدة الإسلامية، وبالمقابل هناك مواضيع يرى الأستاذ أن لها أولية الإدراج في المتن، وفي العناصر الآتي بيانها سأركز على المواضيع الزائدة عن حاجة التآليف والتي اعتبرها الأستاذ من أهم النقائص التي يجب إزالتها في تآليف العقيدة الحالية و هي:

---

(1) انظر: المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، (المقدمة).

(2) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 166، 171 / المبارك، كيف تؤدي جامعة القرويين رسالتها، ص 19.

(3) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 166، 167.

-عدم الاقتصار على الأسس الكبرى للعقيدة

حوت كتب العقيدة السابقة لجميع المواضيع ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية ابتداء من كبرى المواضيع العقدية إلى التفاصيل الجزئية بل إلى أكثر من ذلك من التشقيقات والتفريعات، وحشوها بالخلافات المذهبية وآراء الفرق وتيارات العقيدة المختلفة، والأستاذ لا يعيب هذا العمل في حدّ ذاته بل يعيب إدراجها ضمن كتب العقيدة حتى غدت جزءا من مقومات الكبرى للعقيدة، فيرى من الأهمية بمكان أن يتم تقديم العقيدة الإسلامية في مؤلفات خالية من تلك الزيادات وأن يُفرَد للخلافات وآراء الفرق مؤلفات خاصّة لذوي مستويات معينة.

- إثارة مواضيع غير عملية

يرى الأستاذ أن الكثير من المواضيع المعروضة في كتب العقيدة لا طائل من بحثها حاليا ومواصلة البحث فيها في العصر الرّاهن لانعدام ثمّرة العمل، من مثل مسألة علاقة الذات بالصّفات هل هي عين الذات أم ليست كذلك؟ ومسألة حشر العباد هل يكون بالروح أم بالجسد أم كلاهما؟، فهذه المسائل وأمثالها نقلت إلى إطار التفكير العقلي مع أن ذلك ليس له نتيجة عملية سوى تعميق الخلافات(1)، والأستاذ هنا يستند إلى خلفية فكرية مفادها قُصور العقل عن الولوج والبحث في مسائل الغيبيات الصّرف.

- فصل بقية مكونات نظام الإسلام عن العقيدة

عاب الأستاذ على المؤلفات في مجال العقيدة الإسلامية خُلوها من الفقه والتصوف السُني، وهي تجزئة ضمنية للإسلام، مع أن منهج القرآن الكريم الذي لا يفصل بين أجزاء نظام الإسلام الثلاثة بل يعرضها عرضا شاملا وهو سمة العهود الأولى التي لا تُميّز بين مكوّنات الإسلام الثلاثة بل تعرضها في قالب واحد والأستاذ لا يقصد

(1) انظر: محمد المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1400ه، 1980م ص 74، 75.

الدخول في تفاصيل الفقه والتصوف في درس العقيدة بل يدعوا إلى إظهار ذلك من خلال التركيز على الترابط الوثيق بين مكوّنات الإسلام الثلاثة (العقيدة والشريعة والتزكية).

-إهمال الآثار العملية للعقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية أهمية كبيرة ومكانة عظيمة في حياة الإنسان نظرا للمهمة التي تقوم بها والآثار الطيبة التي تخلفها في حياة الإنسان فردا ومجتمعا، بوصفها العقيدة الصحيحة الربانية الحق، إضافة إلى أنها تقوم على أسس يقينية ثابتة، فهي تعطي الفكرة الصحيحة عن الكون والإنسان والحياة، وتحارب الأوهام والخرافات، وتلبّي حاجات الإنسان النفسية، وتشعره بالمسؤولية، و تُنقذه من استعباد أخيه الإنسان، وتوضّح له الطريق إلى السعادة، كما أنها تشكّل أكبر عامل على البذل والعطاء والتضحية[1]، فالأستاذ يعيب على إهمال مؤلفات العقيدة السابقة للآثار النفسية والاجتماعية والسياسية التي تحدثها العقيدة الإسلامية[2]، ويدعوا إلى إدراجها ضمن التآليف المعاصرة.

2- النقائص المنهجية

المؤلفات التي انطلق أصحابها من منهجية واضحة توفر لهم وللمتلقين جهدا ووقتا بعكس ما إذا غابت المنهجية عنهم، وحصر الأستاذ بعض الأخطاء المنهجية التي صاحبت مؤلفات العقيدة الإسلامية، نذكرها مجملة:

---

(1) انظر: الخن، مبادئ العقيدة الإسلامية، ص 393 -394- 395.

(2) نظر: المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص 25 / المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 179 / المبارك ، الأمة العربية في معركة تحقيق الذات، ص 122- 123 / المبارك، نظام الإسلام الحكم والدولة، ص 35- 36.

- **الخلط بين العقيدة وعلم العقيدة الإسلامية**

ويعتبر الأستاذ الخلط بين الأمرين هو رأس النقائص المنهجية فعدم التمييز "بين عقيدة خالدة وأسلوب زمني عارض قابل للتبدل"(1) هو خطأ جسيم ، وبيَّن أن هذا قد استفحل بين المعلمين والمتعلمين على حد سواء، وهو الصفة الغالبة للمؤلفات السابقة .

وذكر الأستاذ أن هذا الامتزاج بين العقيدة الإسلامية وعلم العقيدة الإسلامية هو "اقتران مُضر بالعقول ومدعاة لفتنتها إذ تسري في النفس عدوى ذهاب تلك الفلسفة إلى العقيدة بحكم قانون تداعي الأفكار"(2)، فهذا الخلط يلحق علم العقيدة البشري بالعقيدة الخالدة وهي لا تثبت أمام النقد ثبات العقيدة الأم، وهو ما عبر عنه بالفتنة(3)، أي يرتاب المتلقي في العقيدة بالارتياب الحاصل في علم العقيدة.

- **الخلط بين الأدلة**

تتنوع الأدلة الموصلة إلى حقائق العقيدة الإسلامية من أدلة نقلية أو عقلية أو وجدانية، أو المزج بينها، ولكل مسألة أدلتها الموصلة لها، فعند وضع الأدلة العقلية مثلا مكان النقلية أو العكس هو نوع المآخذ المنهجية التي نبه عليها الأستاذ، ومفادها الاعتماد على الأدلة النقلية في مواطن يمكن التدليل عليها بالأدلة العقلية، والاعتماد على أدلة عقلية في مكان تجب فيه الأدلة النقلية، وهذه من نقائص المؤلفات السابقة للعقيدة، ويضرب لذلك مثالا كإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالدّليل النقلي مع أن الدليل العقلي هو الأنسب مبدئيا هنا(4)، ثمّ يعطي قاعدة في منهجية توظيف أنواع الأدلة فمثلا يوظف الدليل النقلي في الأمور الغيبية بعد إثبات نبوة محمد عليه

(1) المبارك، العقيدة في القران الكريم، (المقدمة).

(2) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 168.

(3) انظر: المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 6.

(4) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 175- 176.

الصلاة والسلام إثباتا عقليا وبالتالي فكل ما يخبرنا به هو وحي يتلقاه من الله تعالى[1] ، مثل مسألة رؤية الله في الآخرة، وبعض مسائل الصّفات.

- تغليب الجزئيات العقدية على المعالم الأساسية

تمتاز العقيدة الإسلامية بمعالم كبرى تميّزها عن الجزئيات التي تندرج ضمنها، فليست الجزئيات في مستوى المعالم الأساسية، بين الأستاذ أن صورة العقيدة الإسلامية في المؤلفات العقدية السابقة "هي بيان الرأي في مسائل تعرض الخلاف بين الفرق كأنها هي المعالم الأساسية ... فتتضخم هذه المسائل في جنب قضايا العقيدة وأركانها الأساسية كالإيمان بالله واليوم الآخر والنبوّة"[2]، فأدى هذا إلى "تضييع الصورة الحقيقية للعقيدة بمعالمها الأساسية وتغطي عليها ثانوية"[3]، وأرجع الأستاذ هذا أساسا إلى خطأ في المنطلق، إذ انطلقوا (علماء العقيدة) من مواطن الخلاف بين الفرق في قضايا معينة تكون أحيانا فرعية وثانوية مما أدى إلى النتيجة السابقة[4]، وذكر أن هذا المرض قد أصاب الفقهاء والمتكلمين على حد سواء في القرنين الماضيين خاصّة، فضاعت الصورة الكاملة وسط هذا الركام الكبير من الجزئيات و الكم الهائل من المسائل.

- الاهتمام بالجانب العقلي دون الوجداني

لا يتم الاعتقاد في العقيدة الإسلامية بغير الاقتناع العقلي المصاحب للارتياح القلبي، وقد يغلب أحدهما على الآخر لكن لا ينفصلان لدى المعتقد أبدا، والأستاذ يرمي علماء الكلام السابقين إهمال الجانب الوجداني في درس العقيدة الإسلامية، وانصبَّ جلّ اهتمامهم على الجانب العقلي "فأصبحت كتب العقيدة عقلية جافة تقف

(1) انظر: المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 74- 75.

(2) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 168- 169.

(3) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 169.

(4) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية ص 168- 169.

عند إثبات وجود الله وصفاته في نظر العقليين... ولا تنتقل من هذا إلى تحريك شعور"[1]، مجانبين بذلك أسلوب القرآن الذي يجمع بين الأمرين فهي "بعيدة عن المنطلقات القرآنية التي تقنع العقل وتغذي القلب وتقوي الإيمان"[2]، ويضرب مثالا بالإيمان باليوم الآخر أن القصد منه ليس حصول القناعة العقلية فحسب كما هي الحال بالنسبة لحقائق الرياضيات أو الفيزياء بل هي حصول ما يستلزمه هذا الإيمان من تهذيب للنفس نتيجة لإدراك الإنسان إدراكا نفسيا لحاله وموقفه من الله كشعوره بعبوديته لله دون سواه وشعوره بالإثم إذا ارتكبه خَشية من الله وبذله وتضحيته في سبيل الله أي في سبيل كل ما هو خير وحق وعدل أمر الله به[3]، وهي النتائج الايجابية المترتبة عن الجمع بين الجانبين النفسي والعقلي، فإهمال جانب الوجدان يُنقص من فعالية العقيدة لدى معتنقيها فلا تظهر ثمّارها في مسالك الحياة.

(1) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 174.

(2) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 23 – 172- 173- 174 / المبارك، العقيدة في القران الكريم، ص 11.

(3) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 174- 175.

3-النقائص الشكلية

يُسجّل الأستاذ نوع آخر من النقائص التي وقع فيها غالبية علماء العقيدة، وهي نقائص تتعلّق بالشكل الظاهري لمؤلفات العقيدة، أوردها فيما يأتي:

- صعوبة الأسلوب

التعقيد وصعوبة الفهم هي السمة الغالبة لكتب العقيدة الإسلامية، حتى غدت في متناول المتخصّص في علم الكلام فقط مما نفَّر الناس عنها فهي متون "تتصف بالتعقيد"[1]، ويضرب مثالا بالعقائد النسفية لأبي معين النسفي[2].

- الصبغة الفلسفية لكتب العقيدة

يعيب الأستاذ على المؤلفات في موضوع العقيدة أنها "تغلب على هذه الكتب الصبغة الفلسفية"[3]، لأنها لا تكتفي ببيان العقيدة للمتلقي بأسلوب بسيط بل تورد حتى الخلافات بين المذاهب الكلامية والفرق واعتبرها "النهاية المتجمّدة لكتب العقيدة على الطريقة الكلامية الفلسفية التي ازدهرت في القرن الثالث حتى السادس للهجرة"[4]، وهي موجَّهة بهذا إلى خاصّة الناس من العلماء لا إلى عامّتهم، في حين "القرآن خاطب الجمهور خاصَّته وعامَّته"[5]، وذكر أن هذا الأمر قد وقع فيه كثير من علماء العقيدة ولكن بنسب متفاوتة بين عَلَم وآخر وعصر وآخر.

(1) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 23 / وقريب من هذا: المبارك، العقيدة في القران الكريم، ص 11.

(2) نجم الدين النسفي، (461ه – 537)، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ من فقهاء الحنفية، ولد بنسف وتوفي بسمرقند، له نحو مائة مصنف. انظر: الزركلي، الأعلام، (5 / 60).

(3) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 23.

(4) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 23.

(5) المبارك، العقيدة في القران الكريم، (المقدمة).

رابعا: مقترحات محمد المبارك للنهوض بدرس العقيدة الرّاهن

بعد النقائص التي عرضتها كما تم استقراؤها من إنتاج الأستاذ الفكري، يظهر أنه لم يقف عند هذا الحد بل شخَّص الداء واجتهد في تقديم الدواء، فاقترح جملة من النقاط الموضوعية والمنهجية للنهوض بدرس العقيدة الإسلامية، نجملها فيما يأتي:

1- المقترحات الموضوعية

يدعوا الأستاذ إلى الاهتمام بجملة من المواضيع على حساب أخرى، لها الأولوية بسبب أهميتها البالغة، بما تحققه من مقاصد تتلخّص في تعبيد الناس لرب العالمين وتحقيق الولاء له في مسالك الحياة المتنوعة، أوردها فيما يأتي:

أ- التركيز على المعالم الكبرى للعقيدة

أول المقترحات المتعلّقة بالمضمون والتي كرَّر الأستاذ من ذكرها وعمل بها هي "العناية بالكليات من العقائد والأنظمة أكثر من الجزئيات"[1]، و "عدم إثارة معارك جانبية وجزئية بين المسلمين المتفقين على أصول الإسلام وعقائده"[2]، وهي متمثلة أساسا في الإيمان بالله والوحي والنبوّة والمعاد ومسؤولية الإنسان عن كل ما يقوم به.

يتأكّد هذا الأمر خاصّة في المراحل الأولى من إرساء العقيدة الإسلامية لدى المخاطبون من عامة الناس والنشء لتجنب "فتنة عقول أهل العصر من الأمور المختلف عليها"[3]، وبين أنه من الأفضل تأخير الدخول في التفصيلات والجزئيات والخلافات "حتى تأتي في موضعها المنطقي من قناعة المخاطب"[4]، ويعلّل ذلك أن الأمور المختلَفُ فيها تعود أساسا إلى عدم ثبوت النصّ الدال عليها ثبوتا قطعيا أو لعدم دلالة النص الثابت دلالة قطعية عليها.

---

(1) المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 123.

(2) المصدر السابق نفس الصفحة.

(3) المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 6.

(4) المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص6 / المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية،ص 178.

ب- إبراز النُّظم التي تنبثق عن العقيدة الإسلامية

شبّه الأستاذ العقيدة بجذور لشجرة فروعها هي الأنظمة التي تنبثق عنها ، فلابد من إظهار الرابط بين العقيدة ونظمها[1] في درس العقيدة وهذه من بين أهم المقترحات المتعلقة بالموضوع التي دعا الأستاذ إلى التركيز عليها في درس العقيدة المعاصر، فالنظم التي تتحكم العقيدة الإسلامية فيها "بحيث تكون منها كالثّمار للشجرة والنتائج للمقدمات"[2]، فكل نظام يرتبط بالعقيدة " ارتباطا عضويا واضحا تُسلمك العقيدة إلى النظام ويدلُّك النظام على جذوره العقائدية"[3]، ودعوة الأستاذ هذه هدفها علاج الانفصال الحادث بين المرجعية العقدية والسلوك هذه من جهة ومن جهة أخرى حتى تظهر قواعد الدّين الخاصّة به في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وقبلها النفسية والفردية.

ج – بعث دور العبادة في تفعيل العقيدة الإسلامية

العبادة "سلوك إرادي نفسي أو ظاهر ذو دوافع باطنة يقصد به أداء ما يحب الرب عز وجل من مربوبيه، وما يرضيه منهم ويقربهم إليه"[4]، وللأستاذ اهتمام ملاحظ بالعبادة في الإسلام فهو يدعوا إلى إدراجها ضمن درس العقيدة ببيان الأثر الإيجابي لها، فهي تنقل العقيدة من "حيّز الفكر المجرَّد إلى حيّز القلب الذي يُحس ويشعر

(1) انظر: المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 123 /المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 158 / المبارك، نظام الإسلام الاقتصاد، دار الفكر، الطبعة (4)، بيروت، لبنان. ص30، 31 / المبارك ، نحو إنسانية سعيدة، ص 112.

(2) المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص 6.

(3) لمبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص 14- 15 / المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 123.

(4) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، دار القلم دمشق، الطبعة (1)، 1416- 1995، ص 202.

فتجعلها بذلك قوة دافعة"[1]، فالاهتمام بها في درس العقيدة المعاصر يكون بإبراز وظيفتها لا الدخول في تفاصيلها[2]، وهي ما يطلق عليه بالفعالية الاجتماعية، والأستاذ دائم الإظهار لوظيفة العبادة في تفعيل العقيدة من مثل مقاله المنشور: الصَّوم جزء من نظام كامل في الإسلام[3].

2 – المقترحات منهجية

الأمور المنهجية لا تقل أهمية عن الأمور المتعلقة بالمضمون، لأن المنهجية كثيرا ما تمنع صرف الجهد والوقت فيما لا ثمّرة ترجى منه، فيتحقق المقصد بسهولة أكبر، والأمور التي أوردها الأستاذ في ذلك هي:

أ – التركيز على القرآن المصدر الأساسي للعقيدة

تتقرر العقيدة الإسلامية أولا من القرآن الكريم فله الأولوية المطلقة في درس العقيدة موضوعا ومنهجا ، فالأستاذ يدعوا إلى العودة إلى منهج القرآن في بيانه للعقيدة وأن يكون منه المنطلق لا من منطلقات الفرق لإسلامية ونظرتها ، أو من مواطن الخلاف بينها ولا من مشكلات الفلسفة لكيلا "تحجب تلك النظرات عن الرؤية المباشرة للقرآن"[4]، وبيَّن الأستاذ أن نتائج من ينطلق من القرآن تختلف عمَّن كانت منطلقاته غير ذلك، والتركيز على القرآن لا يعني إهمال السُنّة أو عدم الاستئناس

(1) المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ص 164 / المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 163.

(2) انظر: المبارك ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ص 164 -163- 171 / المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 68.

(3) المبارك، الصَّوم جزء من نظام كامل في الإسلام، حضارة الإسلام، السنة الثانية،1961، العدد التاسع، والمقال موجود بتمامه في كتاب: نظام الإسلام العقيدة والعبادة.

(4) المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص 14 – ص 15.

بفهوم العلماء السابقين خاصّة من علماء السَّلف[1]، والأستاذ له مصنَّف عنوانه "العقيدة في القرآن الكريم"، وفيه يبين قواعد القرآن الكريم في إرساء العقيدة الإسلامية ويسميها منطلقات أساسية، والتي تتمحور أساسا حسب اجتهاده حول الإنسان والكون.

ب- حصر الأمور الفرعية والخلافية في الخاصَّة دون العامَّة

تختلف مباحث العقيدة الإسلامية من حيث الأولوية في البيان والعرض ، وبعض المسائل الجزئية والخلافية والمعقدة يدعوا الأستاذ إلى بحثها "مع المختصين فقط لا إثارتها لدى الجمهور العام أو جمهور الطلاب"[2]، لأنه يسبب فتنة للعقول من جهة، ومن جهة أخرى باعتبارها قضايا تاريخية لها بواعثها في عصر معين، يمثل لها ب مسألة علاقة الذات بالصّفات هل هي عين الذات أم لا... فهي لا ترقى إلى مستوى البحث في وجود الله والإيمان به وتوحيده واليوم الآخر ومحمد عليه الصلاة والسلام ، فيُترك هذا النوع من المسائل والخلافات للمختصين[3]، في قسم العقيدة أو الدعوة وأصول الدّين، فتُدرس آنذاك العقيدة الإسلامية والعقائد الأخرى المخالفة من أديان وفرق، وتدرس معها من فروع الفلسفة ما يعين على الدفاع عن العقيدة وحُسن عرضها.

ت- التركيز على الكون والإنسان:

بحث الأستاذ في مناهج القرآن أثناء بيانه للعقيدة الإسلامية فوصل إلى نتيجة مفادها أن من لوازم المنهج القرآني أثناء إرساء العقيدة الإسلامية؛ هو توظيف الإنسان والكون وسمَّاهما منطلقات أساسية في القرآن واعتبرهما" طريقا للوصول إلى العقيدة"[4]، فدعا إلى توظيفهما في منهج درس العقيدة المعاصر، لأن في الكون

---

(1) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 94، 95.

(2) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 169.

(3) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 158- 166- 178.

(4) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 177.

والإنسان تظهر أكثر عظمة الله سبحانه وتعالى في الخلق والتنظيم مما تدفع بالمخاطب على الوقوف على آيات الله الباهرة.

ث- صياغة مقترنة بتصحيح المفاهيم

طرأت على بعض المفاهيم الإسلامية في مجال العقيدة تشوهات إمّا جزئية أو كلية بفعل عوامل داخلية وخارجية، كعقيدة القضاء والقدر التي "كانت فلسفة إقدام في الحياة"[1] فإذا بها "تُصبح فلسفة تواكل وإحجام"[2]، والزُّهد الذي كان إصلاحا باطنيا يتبعه الجهاد والعمل فإذا بالزُّهاد "ينكمشون عن السير في مضمار الحياة كما أمرهم الله أن يسيروا ويُعرضون عن الأخذ بسنن الله في هذا الكون"[3]، إلى غير ذلك من المفاهيم الخاطئة التي شاعت في المجتمع الإسلامي خاصّة في العصور الأخيرة حيث ساهمت في ضعفهم[4]، ومن هذا المنطلق يدعوا إلى مراعاة هذا الأمر الهامّ في دَرس العقيدة المعاصر من خلال تصحيح هذه المفاهيم أثناء العرض ليتم تلقائيا تصحيح المفاهيم المشوهة لبعض حقائق العقيدة.

ج- الموازنة بين الجانبين العقلي والوجداني

الإنسان بتركيبته العقلية والقلبية تقنعه حجج العقول وتريحه نتائج الوجدان، وهو ما اهتم به القرآن الذي جمع بين الجانب العقلي و الفكري وبين الجانب العاطفي النفسي المشتمل على مجموع العواطف وأنواع الشعور[5]، بصفتهما المكونان الرئيسيان للإنسان.

(1) المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 37.

(2) المصدر السابق نفس الصفحة.

(3) المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ص 38.

(4) انظر: المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص9- 15 / المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، ص 91.

(5) نظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، ص 177.

خ- البساطة والسهولة في العرض

توخّي السهولة والبساطة في أسلوب عرض العقيدة الإسلامية، من الأمور المنهجية التي انتهجها الأستاذ فعلا ودعى إليها قولا، يظهر هذا جليا في جُلّ مؤلفاته خاصّة مؤلفيه: نحو إنسانية سعيدة ونظام الإسلام العقيدة والعبادة، والسهولة والبساطة تجعل كتب العقيدة في مستوى عامة الناس وذوو الثقافة البسيطة فلا تكون قصرا على المتخصّصين.

ومن الأمور التي اقترحها لتتمَّ هذه البساطة ما يأتي:

- تجاوز الأساليب القديمة في العرض: لا يخفى أن الأساليب القديمة في عرض العلوم عامَّة تختلف عن أساليب العصر الحديث، فلكل عصر أساليبه الخاصّة به، والأمر في ما يخصُّ العقيدة الإسلامية آأكد من غيره، وعلى هذا يلزم تكييف الأساليب في بيانها للناس، أما إذا كانت هذه الأساليب لها "سند من كتاب أو سنة على سبيل الإلزام"[1] فهنا التقيُّد بها واجب، ونبّه الأستاذ إلى إن تقليد المؤلفات السابقة في أسلوبها "من غير بصيرة ودون اعتبار اختلاف الزمن والأجواء الفكرية والثقافية"[2] لأنه سيؤدي لا محالة إلى ضعف الموقف الإسلامي أثناء العرض.

- تجنُّب مصطلحات الفلسفة القديمة[3]، كالجوهر والعرض والحدوث والإمكان التي ليست في متناول إلا فئة قليلة من الناس، وبالمقابل قد راجت اليوم ألفاظ ومصطلحات جديدة من الضروري أخذها في الاعتبار في خدمة درس العقيدة الإسلامية اليوم.

---

(1) المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص 35.

(2) المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 166 .

(3) انظر: المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية ص 178.

- توظيف طرائق العرض الحديثة[1]، فلا شك أن للعصر الحديث طرائق خاصّة به على المهتمين بأمر العقيدة الإسلامية توظيفها لا إهمالها، ليتيسر التواصل في فهم العقيدة الإسلامية.

ح- الاستفادة من الحقائق الكونية الحديثة:

بلغت العلوم التجريبية في عصرنا الحالي مبلغا كبيرا لا ينكره إلّا مكابر أو جاهل، وتبرز كل يوم مكتشفات العلم التجريبي، منها ما قد ثبت واتضحت حقيقته ومنها ما يزال في طور النظريات، وعلى هذا يدعو الأستاذ إلى التوظيف الأمثل لمكاسب الحضارة الحديثة من مسلَّمات الفكر ومكتشفات العلم الحديث وحقائقه الثابتة أثناء الاستدلال العقلي دون النظريات التي لا تزال في طور البحث ولم ترسوا على ثابت[2]، كما يُحذّر من النظرات الأجنبية المقحمة سواء الفلسفية الفكرية أو العملية السلوكية التي تعتبر من أهم نقائص الحضارة الأوربية الحديثة.

---

(1) انظر: المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص 15 / المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص 123 / المبارك، كيف تؤدي جامعة القرويين رسالتها، ص 18.

(2) انظر: المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص9، 15 / المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، المبارك، ص175- 176- 178 / المبارك، كيف تؤدي جامعة القرويين رسالتها، ص 18.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى أن الأستاذ محمد المبارك ليس له آراء خاصة في مجال العقيدة الإسلامية وإنما هي جهود متميزة في خدمتها وبيانها للناس في إطار المدرسة السنية، فقد سيطرت مباحث العقيدة الإسلامية على كلّ إنتاجه الفكري رحمه الله فهو دائم الإظهار لها في مجمل مصنّفاته، بتحكمها في بقية نُظُم الإسلام، وخصّها بالتدريس والتأليف حتى وفاته رحمه الله، فعمل على إصلاح الدرس العقدي الراهن و التمكين بالعودة إلى منهج القران الكريم وتوظيف منطلقاته في عرض العقيدة الإسلامية، فالقرآن الكريم خاصّة والسنة النبوية المطهرة وعمل الأوائل من السلف، هي أهم عناصر التقويم والتأسيس لدرس العقيدة الإسلامية، وقد عرضها في إطار من الشمولية بربط مسائلها بعضها بالبعض، وربطها ببقية مكوّنات نظام الإسلام من السياسة والاقتصاد والاجتماع، كما أنّه ركّز على تعبيد الناس لله وحده بإظهار آلاءه عليهم، يستفاد هذا كثيرا حين يوظّف الأسلوب التذكيري الذي غايته ربط القلوب بخالقها، كما يوظّف أسلوب الاستفهام الذي لا يُراد منه الإجابة بقدر ما يرجى منه تحريك الفطرة ونفض ما علق بها من شوائب ليعود المتلقي إلى رشده، ويستعمل الأستاذ ألفاظ وليدة العصر الحديث لتقريب المعنى إلى الأذهان، وهو كثير الاستدلال والاستشهاد بالآيات القرآنية التي تتخلل كلامه خاصة حين الحديث عن الكون والإنسان، مبتعدا كلّ البعد في توظيف مناهج علم الكلام ومصطلحاتهم، رغم الاعتذار لهم بل والإشادة بهم، ويرى بأنه لا حاجة لإعادة المشاكل التاريخية وبعث فتنها من جديد في درس العقيدة الرّاهن، كما عمل على التخفيف من مآسي الإنسانية ببعث الأخلاق والقيم وبيان أثرها الطيب من خلال درس العقيدة الإسلامية، محافظا في عرضه على الأصول الكبرى والأركان الأساسية للعقيدة، والأستاذ ذوا صبغة

إنسانية في كتاباته العقدية يشهد لهذا مثلا عنوان مؤلَّفه "نحو إنسانية سعيدة" ومقاله "نحو حضارة إنسانية" حتى أنه ذكر في مقدمة أحد كتبه أن الهدف مثلا من سلسلة نظام الإسلام تعريف كذلك غير المسلمين بنظم الإسلام.

فكان سهل البيان، واضح الأهداف، متجنّبا طرق المسائل التي فيها خلاف إن لم تكن ذات أهمية كبيرة، لا تكاد تحس أثناء الاطلاع بالاختلاف بين المذاهب في المسائل المختلَف فيها، وكان يُحاول في كلّ مسألة أن يعود بها إلى منهج القرآن تأسيسا وعرضا، مستندا إلى السّنة المطهّرة وعمل الأوائل من السّلف، وهي أهم مصادر التأسيس والتقويم التي استند عليها في درسه العقدي، متجنّبا أساليب علم الكلام، كما أنه دائم الإظهار لآيات الله في الكون بالاستشهاد والاستدلال بالآيات القرآنية، موظّفا أساليب التذكير والاستفهام وألفاظ خاصة بالعصر الحديث، ملتزما بمذهب أهل السنّة والجماعة.

ولعل أهم ما اقترح به في ختام هذا البحث، هو أن تراث الأستاذ محمد المبارك لم ينل حقّه من البحث والدراسة، فضلا عن التعريف بهذا العلَم الذي خدم الأمة الإسلامية بخدمات جليلة، فيمكن القيام بدراسات وبحوث في المواضيع الآتي ذكرها مُرتبة حسب الأهمية:

- المناهج التربوية من منظور الأستاذ المبارك.
- علم الاجتماع عند محمد المبارك.
- ترشيد القومية العربية من قبل الأستاذ المبارك.
- تقويم التيارات الفكرية العربية والغربية في فكر محمد المبارك.

المصادر والمراجع

أولا: مؤلفات ومقالات الأستاذ محمد المبارك

- الأمة العربية في معركة تحقيق الذات، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1988م.

- الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، دار القلم والدار الشامية، الطبعة (1)، 1419ه- 1998.

- الإسلام والفكر العلمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة (1)، 1398ه - 1978م.

- بين الثقافتين الغربية والإسلامية، دار الفكر، 1400ه — 1980.

- الثوابت والمتغيرات في المجتمع الإسلامي، المركز الثقافي الإسلامي، الجزائر، (مخطوط).

- العقيدة في القران الكريم، أرسلت لي من قبل الورثة عبر الامايل وهي غير موثقة.

- الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية 1389ه، 1970م.

- نحو إنسانية سعيدة أو حلقات من نظام الإسلام، دار الفكر، بدون طبعة وسنة نشر.

- نظام الإسلام الحكم والدولة، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، 1417ه، 1997م، مطبعة سيهر، الجمهورية الإسلامية في إيران، طهران.

- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989- 1409ه، رسائل إسلامية المعرفة، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

- نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، دار الفكر، الطبعة (4)، 1395ه، 1975م، بيروت، لبنان.

- المجتمع الإسلامي المعاصر، المبارك، محمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1400ه، 1980م.

- شيخنا العظيم محدث الديار الشامية الأكبر، حضارة الإسلام (مجلة فكرية شهرية)، دمشق، العدد (6)، السنة الرابعة 1964م.

- الصوم جزء من نظام كامل للحياة، حضارة الإسلام، العدد التاسع، السنة الثانية، 1962.

- كيف تؤدي جامعة القرويين رسالتها، حضارة الإسلام، العدد الثامن، السنة الثانية 1962 م.

ثانيا: المصادر والمراجع الأخرى

-الأعلام، الزر كلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 1886م.

- أعلام من المغرب العربي، الصديق، محمد صالح، موفم للنشر الجزائر- 2000م.

-الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ابي حامد، تصحيح: مصطفى القباني الدمشقي، المطبعة الادبية، مصر، الطبعة الاولى .

-ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم دمشق، الطبعة (1)، 1416- 1995.

-الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني، أبوا بكر، تحقيق محمد بن زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، 1421ه — 2000م.

– تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: 1301ه الى 1360ه، الحافظ محمد مطيع واباظة نزار، دار الفكر، الطبعة (1) 1406ه – 1986م.

-التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، المسير، محمد سيد احمد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1419– 1998، الطبعة (1).

– ذكريات، الطنطاوي، علي، دار المنارة، السعودية، جدة، الطبعة(2) 1409ه – 1989.

– عقيدة السلف وأصحاب الحديث، عبد الرحمن الصابوني، ابوا عثمان اسماعيل: تحقيق: ناصر عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، الطبعة الثانية، 1419 ه — 1998م، المملكة العربية السعودية.

– القاموس المحيط، الفيروز ابادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة(6)، 1419ه 1998م.

– مبادئ العقيدة الإسلامية، الخن، مصطفى سعيد، جامعة دمشق، مطبعة جامعة، دمشق، سوريا.

– محمد المبارك: العالم والمفكر والداعية، جرار، حسني أدهم، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، الطبعة الأولى، 1419ه، 1998 م.